مارتينا فيلدنر

السماء أعلى الملعب

فتيات: فتية

هنا يكمن جمال كرة القدم: كل شئ بسيط وواضح. الهدف هدف والمراوغة مراوغة والضربة الخلفية المزدوجة – إذا استطاع البعض أن يؤديها – ضربة خلفية مزودجة.

أما الحياة العادية فتمتلئ بالأمور الغامضة وأنصاف الحقائق. يصبح الأمر أكثر ارتباكًا عندما تمتزج الحياة العادية بكرة القدم. مثلما حدث في ذلك اليوم.

***

لم تلقِ أي منهن التحية عليَّ في الملعب، ولا حتى نظرت مدربتنا في عيناي. لم تمرر إحداهن الكرة لي أبدًا أثناء التمرين، ولا مرة واحدة. كانت رفيقاتي في اللعب تركضن مرورًا بي كأن أحدًا لا يستطيع أن يراني ولم تبدين أيضًا أي رد فعل على ندائي. وهكذا أخذتُ أجري هنا وهناك بلا هدف وقد أنهكني التعب بسبب عبث ما أفعله وبسبب الحرارة المرتفعة التي فاقت كل وصف والتي اشتدت بين المنازل الشاهقة.

اتضح لي شيئًا فشيئًا أن أحدًا كان قد باح على الأرجح بشيءٍ ما.

هرولنا بعد انتهاء التمرين إلى الدلو الذي كان موضوعًا عند طرف الملعب وممتلئًا بالماء حتى حافته، كما هو معتاد في الأيام التي تبلغ فيها درجات الحرارة قرابة 30 درجة مئوية. دست "فابيينه" رأسها في داخله ونفضت الماء بدفعة من شعرها المربوط على هيئة ذيل حصان طويل أشقر فأصيب الجميع بالبلل.

وددتُ أنا أيضًا أن أصل إلى الدلو لكنني تعرضت للدفع بعيدًا. لذلك ظللت أقف بعيدًا لبعض الوقت واستنشقت الهواء الممتلء بالغبار في ملعب العشب الصناعي ونفضت الحبيبات عن جواربي ومسحت العرق من جبهتي.

ببساطة، كان الجو ساخنًا بالنسبة لكل شئ.

تلقيت فجأةً دفعة من الخلف. فسقطت نحو الأمام وهبطت ببطني على العشب الصناعي المبلل بالماء. وقبل أن أتمكن من قول أي شئ، تحدثت "باولا" بصوت كالفحيح قائلًة: «أنتِ تسدين الطريق!».

«لكنكِ دفعتيني!» أجبتها بينما استجمعت قواي لأنهض. صار قميصي الرياضي مبللًا بشدة عند البطن. كان الأمر في الحقيقة لطيفًا، انتعاشًا، لكن الأخريات رمقنني بنظرة غاضبة.

«لن نتحدث ثانيًة مع خائنات» قالتها "باولا" وشبكت ذراعيها.

«أجل!» قالتها "جيزا" «من يذهب إلى فريق "شتيرن 09"، لا يجب أن يتعجب من هذا.»

«ماذا؟ أنا؟ "شتيرن 09"؟»

كانت نظرة الأخريات أكثر تجهمًا. إذ كان فريق "شتيرن 09" خصمنا؛ لأنه كان المنافس الوحيد الذي يمكن أخذه على محمل الجد في بطولة الدوري. لم يكن أحد ينضم إليه من فريق "إف إف تسي".

تساءلت: «من الذي يقول شيئًا كهذا؟»

لم تجب أي منهن.

«"فابيينه"؟»

«أنا لم أقل شيئًا على الإطلاق!»

«لا، أقصد، هل "بيتي" ... لكِ؟» كانت "فابيينه" أقرب صديقة لي في الفريق؛ لذلك لجأت إليها أملًا في أن أنال الرحمة.

«لا، لم تفعل بالطبع» استدارت "فابيينه" بعيدًا.

«ها ها!» قالتها "باولا". «نحن ضعفاء جدًا في نظر نجمتنا! ضعفاااء جدًا، ضعفاااء!» ليتني لم أرتدي اليوم قميص اللاعب "فيليب لام" الرياضي العتيق هذا. أخذت هي و"جيزا" تقفزان من حولنا وتمثلان كأنهما تسيران على عكاز. ضحكت الأخريات بشكل بغيض.

قلت: «لكنني لن أنضم مطلقًا إلى ...». أردتُ في الحقيقة أن أوضح أنني لم أنوي أبدًا أن أنضم إلى فريق "شيترن 09". كنت أريد أن أغيّر الفريق، أجل، لكن أن أذهب إلى فريق يرتدي زيًا رياضيًا باللونين الأزرق والأبيض، إلى فريق الفتية الذي ربما لا يبالي به فريقي تمامًا.

«أوه، اخرسي» قاطعتني "باولا" وقالت: «تعالين، هيا بنا نذهب!»

ذهبت الأخريات معها واختفين في غرفة تبديل الملابس. وقفتُ وذراعاي متدليان هناك في حرارة العصر المتأججة في ملعب كرة القدم الصغير الخاص بنا، بين جدران المنازل العالية المقاومة للحريق والتي تحمل رسوم وكتابات بالجرافيتي.

طِرْ عاليًا، كانت مكتوبة هناك بأحرف سميكة سوداء اللون. كنت أقرأ هذه الكلمات دائمًا وكانت تثير حماستي في المعتاد. لكنها جعلتني الآن غاضبة. الطيران عاليًا! كم كنت مصابة بجنون العظمة. ما الذي كنت أريده لدى الفتية؟

***

انتظرت الترام على الرصيف. ارتعش الهواء أعلى القضبان.

«هل أفشيت شيئًا ما؟ أقصد سهوًا ربما؟» شعرت بالسعادة أنني تواصلت مع "بيتي" عن طريق الهاتف المحمول.

إن تغيير النادي أمر طبيعي للاعب كرة القدم – ولاعبة كرة القدم. ومع ذلك كان ممنوعًا بطريقةٍ ما، كان بمثابة خداع للنادي القديم. كان التغيير، بغض النظر كيف يتم، أمرًا يستحق العقاب.

أجابت "بيتي": «أنا؟ لا، أبدًا.»

لم أدرِ إذا ما كانت تقول الحقيقة. فقد أخذت أتساءل منذ التمرين من أين تمكنت الفتيات في النادي، الذي ألعب به، أن تعرفن بهذا الأمر؛ فأنا لم يسبق وأن تحدثت مع أحد عن ذلك إلا مع "بيتي".

صاحت "بيتي": «صدقيني! لم أحكِ شيئًا! لماذا أفعل هذا؟»

أجل، لماذا تفعل هذا؟ صحيح أن "بيتي" و"فابيينه" تعرفان بعضهما البعض منذ دراستهما في روضة الأطفال، لكن "فابيينه" صديقتي في لعبة كرة القدم، و"بيتي" صديقتي في المدرسة. لم تنتقص إحداهما شيئًا من الأخرى. كانا عالمين منفصلين عن بعضهما البعض.

وصل الترام إلى المحطة وقلتُ: «حسنًا، ربما لم يستطع أبي أن يلتزم الصمت.»

«سيكون الأمر كذلك» قالتها "بيتي" وضحكتْ بشيءٍ من الارتياح. ضحكتُ أنا أيضًا.

لا، لم أرغب في أن أتشاجر مع "بيتي" أيضًا.

***

أعقب ذلك ليلة مؤلمة وطويلة للغاية. كانت الحرارة ترتفع بقسوة في الصيف في شقة أمي المبنية في الطابق العلوي أسفل السطح. كنت قد أرسلت في المساء رسائل لـ"فابيينه" عدة مرات لأشرح لها أنني لا أرغب في الانتقال إلى الخصم وإنما إلى أحد فرق الفتية وهذا أيضًا مجرد احتمال.

لم تجبني. ربما أن "بيتي" كانت قد ثرثرت بشيءٍ ما فقط؛ لأنها على الأرجح لا تدري إطلاقًا ما الذي يمكن أن تتسبب فيه شائعات الانتقال من نادي إلى نادي أخر. أم أن أحدًا قد لاحظ عليَّ هذا الأمر؟ ربما هناك رائحة ما تنبعث من الشخص الذي يريد أن ينتقل من ناديه. أجل، رائحة التغيير. غشيني النوم وأنا أفكر في هذا.

كان من الغريب أن "بيتي" تغيبت في صباح اليوم التالي عن الذهاب إلى المدرسة؛ إذ كان من النادر أن تمرض ولذلك فقد اعتبرت أنها غابت لأنها شعرت بتأنيب الضمير. ربما أنها سبق وأن حكت شيئًا ما لـ"فابيينه". لكن لماذا؟

***

صرت الآن أجلس في كابينة تغيير الملابس الصغيرة الخانقة التي كانت مخصصة في حقيقة الأمر لحكام المباريات. سوف أقدم عمّا قريب عرضًا رياضيًا أمام ناديّ الجديد. لقد اتضح لي:

أنني لو فشلت في التمرين التجريبي، لن يتبقى لي شئ، لا فريق الفتيات القديم ولا فريق الفتية الجديد.

إذًا أعلى درجات التركيز! استجمعت شجاعتي فاستنشقت الهواء بعمق وتفحصت عقدة رباط حذائي. ثم غادرت الكابينة ونزلت السلالم حتى نقطة الالتقاء في الطابق الأرضي، حيث كان حارس الملعب يجلس في صندوق زجاجي. أعلنت ساعة رقمية كبيرة أنها الساعة 16.51. سنبدأ الساعة الخامسة، غير أنني سمعت بعد ثلاث دقائق صوت صراخ في بئر السلم وصوت كالصرير منبعث من أطراف العشب الصناعي على ماكينة قص عشب الملاعب.

بضعة ثوانٍ أخرى وسيروننني.

كنتُ قد ربطت شعري إلى الخلف وارتديتُ رباط جبهة رفيع أزرق اللون.

«توقفوا يا شباب!» صاح بها المدرب! – اسمه "يوريك" – واختفى وسط الحشد. ظل الفتية واقفين.

التفت "يوريك"، الذي ربما كان عمره حوالي خمسة وعشرين عامًا، نحو الفتية وأشار نحوي.

«اسمعوني جيدًا: هذه "يو". لديها تمرين تجريبي عندنا، واضح؟»

تفحصني بعض الفتية من أعلى لأسفل، سريعًا جدًا وباحتقار شديد. لكن هذا الأمر كان مُتوَقعًا؛ فأنا فتاة وكذلك قبيحة: فتاة ذات شعر نحيل، مفرود بكريم برائحة الثوم، أنف منتفخة، عينان خضراوان بلون الوحل، فم ذو شفتان ضيقتان، وذقن كبير للغاية. كان كتفاي مربعين وفي الحقيقة لم يكن لدى خصر. سرعان ما فقد المحتشدون اهتمامهم بي واندفعوا نحو الباب ليخرجوا وهم يمرون بي ويحدثون ضجة، وكل منهم يرتدي قميص التمرين أزرق اللون. ولأن الجميع بدوا بسبب ذلك متشابهين، لم يلفت انتباهي من النظرة الأولى سوى فتيان: أحدهما ذو شعر أحمر فاقع اللون مثل شخصية "رون ويزلي"، والأخر ذو قصة شعر قصيرة من جانبي رأسه.

سرت وراءهم نحو الملعب. كانت أرضًا ذات مساحة شاسعة، يقع جزء قليل منها في أرض مهجورة، بين طريق سريع وحدائق صغيرة واقعة على أطراف المدينة وأرض المطار. حلَّقت للتو أعلى رؤوسنا طائرة، كانت قد بدأت رحلتها. كان الضجيج عاليًا، إلا أن الفتية بدوا غير منزعجين منه. إذ أنهم كانوا قد اعتادوا على ذلك الأمر، فأخذوا يؤرجحون حقائبهم ويتدربون على لعبة إلقاء الزجاجات البلاستيكية، بحيث تدور في الهواء وتسقط بشكل عمودي. ذات مرة تدحرجت زجاجة على الأرض وركلها أحدهم بعيدًا وتعثر أخر فيها ولم يلتقطها أحد من الأرض. عندما فعلت أنا ذلك وأعطيتها ثانيَّة لمن ألقاها، ضحك الجميع.

في الملعب، تلقف ذو الشعر الأحمر كرة وأخذ ينطتها. أخذت أحسب معه عدد مرات التنطيط وتوقفت عند رقم 163. فيما بعد، حافظ على توازن الكرة على رأسه لنصف دقيقة ليجعلها تسقط بعدها على كعب قدمه ويركلها من جديد إلى الأمام حيثما واصل تنطيطها. لو كان الجميع هنا يتحكمون في الكرة هكذا، فلن أحقق أي نجاح بينهم.

بدأ التمرين بعد ذلك. كان برنامج الإحماء ذاته مرهقًا أكثر منه لدينا في فريق الفتيات بعشر مرات. فقد قمنا بتمارين معقدة لتمرير الكرة وكان علىَّ أن أركز جدًا لكي أتمكن من أن أجاريهم.

لم أكن أعرف أحد التمارين على الإطلاق، ومن فرط شعوري بالاضطراب لم أفهم شرح "يوريك" الموجز أيضًا بصورة صحيحة. فأخطأت تمامًا حتى في لعب الكرة الأولى، وتنهد ذو قصة الشعر القصيرة بصوت مسموع.

عندما فشلت في التمرين للمرة الثانية أيضًا، استدار بعيدًا بأعصاب ثائرة، وعندما صار من المفترض أن تصلني الكرة لثالث مرة، صوبها نحوي بحدة بالغة لدرجة أنه لم يكن من الممكن على الإطلاق أن تصلني. ضحك أحدهم.

لابد وأن رأسي قد احمرَّ تمامًا في تلك الأثناء.

لحسن الحظ، حان عندئذ وقت استراحة تناول المشروبات وكان مخططًا بعد ذلك أن تقام مباراة صغيرة. راودني الأمل أن أحرز فيها أهدافًا.

قسَّم "يوريك" الفرق وسألني عن المركز الذي ألعب به.

«أين تلعبين في المعتاد؟»

«امم...» قلتها بتردد وأضفت «الأفضل في خط وسط الملعب أو ... الهجوم»

«الهجوم!» صاح بها اللاعب ذو قصة الشعر القصيرة – الذي كان اسمه بالمناسبة "نيكلاس" – وضحك متذمرًا. ضحك الأخرون معه.

«هدوء!» قالها "يوريك" بصوت عالٍ قوي «حسنًا. "يو" ستلعب في خط وسط الملعب. إذًا فلنبدأ.»

اتخذنا مراكزنا في الملعب.

لم يكن يجوز لي، بأي حال من الأحوال، أن أخطئ في المباراة. وصلت لي الكرة ثلاث مرات. نتج عن المرة الأولى تمريرة خاطئ، ولمست الكرة في المرة الأخرى سريعًا حيث استخلصها اللاعب ذو الشعر الأحمر مني على الفور، وفي المرة الثالثة مررتها تمريرة خلفية ساذجة. ساهمت التمريرة بشكل غير مباشر في بناء الهجمة، حتى أن فريقنا أحرز بعد ذلك هدفًا بعد سبع محاولات للمس الكرة، لكنني لم أشارك في المباراة أكثر من ذلك.

«إذًا، فلننتهي! أنتم لم تظهروا كل شئ بعد. أريد أن أرى غدًا أداءًا أفضل. ستكون هناك درجات في التمرين التالي. إذًا: لنجمع الكرات والأقماع الرياضية ونضع الصديريهات على الكومة!»

خلعت الصديري الذي كنت أرتديه ووضعته على العشب الصناعي. ألقى الفتية الصديريهات وطار أحدها واصطدم بوجهي.

«"رون"!» صاح بها "يوريك". كان الفتى ذو الشعر الأحمر قد ألقاه. هل كان اسمه "رون" حقًا؟ «"نيكلاس"! "يو"! "ميشا"! احملوا المرمى إلى الناحية الأخرى.»

تجهَّم وجه "نيكلاس". أمسك هو و"رون" بالمرمى من ناحية وأمسكنا به أنا و"ميشا" من الناحية الأخرى. كان علىَّ أنا و"ميشا" أن نسير متقهقرين. تعثرت خطاي.

قال "نيكلاس" شيئًا ما لـ"رون" ونظرا إلى هنا ثم تهامسا بشيءٍ ما. أدركت: «يا أنت، إنها لا تستطيع حتى أن تحمل مرمى. أه، إنها *تتسبب في الإزعاج* تمامًا.»

«ها ها» قالها "رون" وضحك.

***

كانت كابينة حكام المباريات صغيرة وكنت بمفردي. لكنني كنت عندئذ سعيدة بسبب ذلك وتركت الماء ينهمر على ظهري. وهكذا ظللت واقفة لبضعة دقائق أسفل تيار الماء الشديد. أنا *أتسبب في الإزعاج*.

ماذا فعلت بالضبط؟ إن فريق فتياتي يكرهني؛ لأنني أردت أن أتركهم والفتية يكرهونني لأنني أردت أن أنضم إليهم.

جففت جسدي وجلست وأنا ملفوفة في المنشفة على أحد المقعدين الموجودين في كابينة حكام المباريات هذه. كانت هناك أيضًا منضدة وخزانة.

نظرتُ في هاتفي المحمول. لقد ردَّت على "فابيينه"، أخيرًا.

***

كتبتْ: *فهمت، ستنضمين إلى فريق الفتية. حسنًا، على الأقل ليس فريق "شتيرن 09"*.

سألتها: *كيف عرفتوا هذا الأمر بالأساس*؟

ردَّت "فابيينه": *من والد "باولا"*.

اتكأت نحو الخلف، أي من *والدي*. على الأرجح أنه تفاخر أمام والد "باولا" كم أنني ماهرة وسريعة وأنني لم أعد أتلقى الدعم الكافي في فريق "إف إف تسي"، مثلما كان يقول لي دائمًا. هذا الأحمق!

لم تعد لديَّ الآن ثمَّة رغبة على الإطلاق أن أنزل إلى غرفة الانتظار حيثما كان يجلس وينتظرني. غير أنه لم يكن من الممكن أن أظل جالسَة هنا للأبد.

سألني أبي عندما أتيت أخيرًا: «أين مكثتِ لوقت طويل هكذا؟»

«كنت أستحم» لم أنظر إليه. لماذا لا نمضي؟

سأل: «هل وقعت مشكلة؟»

ظللت أنظر إلى الاتجاه الأخر. لكنني لم أطيق الصمت سوى لثلاث ثوانٍ.

«ماذا حكيت لوالد "باولا" يا بابا؟ هل تفاخرت من جديد؟»

«لا، أنا ... أين "يوريك" إذًا؟» أخذ أبي يقلب بصره فيما حوله.

صحت في وجهه: «ماذا قلت لوالد "باولا" يا بابا؟»

«لا شئ، مجرد أنكِ تريدين تغيير الفريق. أه، ربما.»

«إنهم يظنون أنني أريد الانضمام إلى "شتيرن 09" لأنني أرى فريق "إف إف تسي" ضعيف جدًا.»

«حسنًا، أنا لم أقل الأمر هكذا» ردَّ أبي وشعر بغضب شديد. يبدو أنه شعر بتأنيب الضمير. كان يستحق أن يشعر بهذا. «وفيما يخص "شتيرن 09" ... أه، إنه قادم هناك.»

كان "يوريك" أيضًا قد استحم. إذ كان شعره مبللًا وفاحت منه رائحة الاستحمام.

قال أبي: «ما زلنا نريد أن نتحدث.»

ردَّ "يوريك": «أجل، بالضبط.»

لم أقل شيئًا. كنت غاضبة ولم أرغب في أن أتحدث. عن أي شئ إذًا؟ عن أن مستوى كان سيئًا للغاية بالنسبة لفريق الفتية؟ وعن أن أبي نجح في إفساد علاقتي بالفتيات أيضًا؟

«كيف كان الحال يا "يو"؟» تسائل "يوريك". «لقد أديتِ أداءًا رائعًا.»

حسنًا، أداءًا مقرفًا، هذا ما دار برأسي. هو لا يرغب فقط في أن يعبر عن الأمر هكذا.

«لا، لا» قالها المدرب الذي لاحظ على ما يبدو أنني كنت ساخطة. «بدا الأمر بالطبع جيدًا جدًا.»

«لقد لمست الكرة ثلاث مرات.»

«إن الفتية لم يعرفونك بعد طبعًا. هذا الأمر يتكرر مع الجدد.»

سألت: «حتى الفتية؟»

«طبعًا!» صاح بها أبي دون أن ينتظر رأي "يوريك". «أي شخص جديد يواجه صعوبات، حتى كريستيانو رونالدو نفسه. لقد كان صغيرًا عندما التحق بنادي "سبورتينج لشبونة". لم يأخذه أحد في بادئ الأمر على محمل الجد.»

يا إلهي، ما هذا الذي يقوله أبي؟ لقد سبق وأن حكى لـ"يوريك" قبل التمرين بالفعل قصة حياتي مع كرة القدم بأكملها؛ بما في ذلك أنني عندما كان عمري عامين، سددت كرة إسفنجية على زهرية ورد غالية الثمن فأسقطتها وأن الكرة الإسفنجية كانت كرة نادي "إف سي بايرن ميونيخ". كان هذا محرجًا للغاية!

لكن "يوريك" لم يتجاوب معه في المقارنة مع كريستيانو رونالدو. «حسنًا، عليهم فقط في البداية أن يعتادوا على أن تشاركهم فتاة اللعب. سيحدث هذا بالفعل.»

«ممتاز» قالها أبي وأضاف: «أي أننا سنأتي غدًا مرة أخرى؟»

وددت أن أعترض قائلًة أن لدىَّ يوم الأربعاء حصة تدريب على الكتابة على لوحة المفاتيح. لكن "يوريك" قال بالفعل: «أجل، بالطبع»

***

ذهبنا إلى السيارة.

«لديَّ غدًا حصة تدريب على الكتابة على لوحة المفاتيح يا بابا.»

«عليكِ أن تلغيها.»

«لقد ألغيت بالفعل موعد طبيب الأسنان اليوم.»

لم أكن قلت لأمي شيئًا عن التمرين التجريبي لدى الفريق الذي يرتدي زيًا رياضيًا باللونين الأزرق والأبيض. حكيت لها بدلًا من ذلك أنه يجب عليَّ أن أعد مع إحدى الصديقات تقريرًا من أجل المدرسة.

قال أبي مقترحًا: «إذًا فلتلغيها.»

«لا يمكن تأجيل حصة التدريب على لوحة المفاتيح.»

«يمكن تأجيل كل شئ.»

«لكن ...»

«هذا أمر مهم، أتسمعينني؟ و"أندريا" لا تفهم شيئًا ببساطة عن كرة القدم.»

«لكن يا بابا هذا كلام فارغ. أنت تحكي هراء لوالد "باولا". وماما ليست على الإطلاق ...»

«سوف نرتب هذا الموضوع. انتبهي، عندما تصبحين مشهورة، لن تفكري ثانيًة في هذا الأمر التافه برمته.»

«يا بابا! أنت واهم!»

كان أبي شخصًا غريب الأطوار. سبق وأن ورث عن والديه، اللذان ماتا قبل وقت طويل بالفعل، منزلًا صغيرًا، يعيش فيه منذ أن انفصل عن أمي. بالأحرى منذ انفصلت هي عنه. لكن هذه قصة أخرى. كان في أسفل المنزل مطبخ صغير وما يشبه غرفة المعيشة، حيث كان أبي ينام، وبالأعلى، أسفل السقف، كانت هناك غرفة صغيرة مبنية. كنا، أنا وشقيقتي "كاترينا" التي تكبرني بعام واحد، ننام هناك عندما كنا نمكث عنده. في الحديقة، التي كانت شاسعة بالمقارنة بالمنزل الصغير، نمت

بصفة خاصة حشائش، كان أبي دائمًا ما يجزها في مساحة ما وبصورة منتظمة بطول عشب ملعب كرة القدم.

هناك كان أبي ينزع الحشائش الضارة، هناك كان يضع السماد وهناك كان يرسم بعربة الطباشير، التي اقتناها خصيصًا، الخطوط المُحدِّدة للملعب. بالطبع كان هناك مرمى أيضًا. كان أبي يحفظ كرات القدم، التي كان يشتريها من أجود الأنواع، والأقماع الرياضية البرتقالية، التي كنت أتدرب من حولها وتحت إشرافه على المراوغة بالكرة، بعناية في كشك مبني خصيصًا من أجل هذه الأدوات. كان أمام الكشك سارية علم وكان علم ألمانيا مُعلقًا هناك. في بعض الأحيان، كنت أراقب أبي وكيف كان هو نفسه يتدرَّب على تنطيط الكرة، يسارًا ويمينًا، أو بالتناوب بشكل دقيق. وصل رقمه القياسي في تنطيط الكرة إلى 27 مرة.

كانت هناك أشجار برقوق وخوخ بجوار ملعب كرة القدم الصغير الخاص بنا، غير أن أبي لم يكن يحبها؛ لأن ثمارها كانت تسقط على أرض الملعب.

هناك سياج سميك وعالٍ من شجيرات "توية" يفصل حديقتنا عن جارنا. كان هذا أمرًا جيدًا: إذ كانت كل الكرات تظل عالقة هناك ولا تسقط في أرض الجيران حيثما يتسكع كلب ضخم من سلالة "مولوسوس" بحرية هنا وهناك. كان أبي متشاجرًا مع الجار وكان الكلب عدوه الأكبر.

على جدار الغرفة، التي اقتسمتها مع "كاترينا" لدى أبي، كانت هناك صورة لكريستيانو رونالدو مُعلَّقة في الناحية المخصصة لي. كثيرون يكرهونه وكثيرون يصفونه بأنه مغرور، لكن هذا بمثابة حقد. إنه أفضل لاعب كرة في العالم!

صرنا الآن نجلس في السيارة. كان أبي قد أدار التكييف وأخذ يوجه السباب إلى المرور وسائقي السيارات الأخرين الذين لا يقودون أبدًا بالطريقة التي يتصورها هو.

في النهاية، عندما انعطفنا في شارع جانبي، لكي نتجنب التكدس المروري – إذ كان أبي يعرف كل اختصارات الطرق في المدينة – قال: «ربما تكونين أول فتاة هناك».

لم يكن جعل النادي، الذي يرتدي لاعبوه زيًا رياضيًا باللونين الأزرق والأبيض، يسمح لفتاة أن تقدم عرضًا رياضيًا بالمسألة السهلة؛ فهذا النادي كان ناديًا رجاليًا خالصًا ليس به قسم للنساء. حصل أبي على معلومات التواصل مع النادي عن طريق مديره الذي يلعب ابنه في فريق الناشئين بالنادي. وكان شقيق هذا المدير نفسه مدرب في النادي الذي يرتدي لاعبوه زيًا رياضيًا باللونين الأزرق والأبيض، وأوصى بقبولي إلى حدٍ ما. ربما لم يكن من الممكن أبدًا أن أنضم إلى التمرين التجريبي دون توصيته هذه.

ربما كان الأمر سيصبح أسهل بالنسبة لي طبعًا في أي نادي أخر، لكن كان لابد من أن يكون النادي هو النادي، الذي يرتدي لاعبوه زيًا رياضيًا باللونين الأزرق والأبيض، لأن لاعبيه يعدون أفضل لاعبين. وربما يتدهور أسلوبي في اللعب لو انضممت إلى نادي أسوأ، هكذا كان رأي أبي. إذ كان يقول دائمًا: «إنهم يلعبون بلا خطة ولا نظام».

توقف أبي عند الناصية ونزلت أنا من السيارة باستعجال وأغلقت الباب بعنف ولوحَّت بيدي من خلفي لأبي الذي ابتعد مسرعًا بالسيارة.

***

بيلو هوريزونتي: ماناوس

«أوه، من أين أتيتِ؟» ظهرت "كاترينا" من العدم أمام المنزل. «ظننتُ أنكِ كنت تعدين تقريرًا مع "بيتي"، أليس كذلك؟»

«كنت كذلك، نعم.» لم أكن قد حكيت لـ"كاترينا" شيئًا عن التمرين التجريبي لدى الفتية.

«كيف ذهب بكِ بابا إلى هناك عندئذ؟ إنه يسكن في مكان مختلف تمامًا.»

«إنه لم يذهب بي إلى هناك. لقد أحضر ... فقط ... اممم ... واقي قصبة الساق الخاص بي.»

يمكن أن تدفعك "كاترينا" حقًا إلى الجنون. فدائمًا كان لابد من أن تعترض ودائمًا تسعى للوصول إلى أدق التفاصيل. والأمر كله ليس من شأنها بالطبع.

«فهمت، أه.»

فتحت قفل باب المنزل. صعدنا لأعلى، إلى الطابق الرابع.

فاحت من الشقة رائحة فطائر بالبيض. أي أن أمي في حالة مزاجية جيدة. لو كان مزاجها سيئًا، لكان الطعام مكرونة بصلصة الطماطم.

«وهل حققتما تقدمًا في التقرير؟» سألتني أمي على سبيل الترحيب بي. «ما هو موضوعه مرة أخرى؟» فرشت أمي الطاولة في المطبخ.

«أه، أشياء ... أه، الثروات المعدنية في البرازيل.» لم تكن لدىَّ أية فكرة إطلاقًا عن الموضوع. لماذا خطرت البرازيل على وجه التحديد ببالي الآن؟ فأنا لم أكن أعرف أي شئ عن البرازيل سوى أن ألمانيا فازت على البرازيل في نصف نهائي كأس العالم عام 2014 بنتيجة 1/7.

«أوه نعم، البرازيل». صاحت بها أمي. كانت البلاد البعيدة تثير حماسة أمي بسهولة. «في البرازيل يوجد كل شئ طبعًا: ذهب وأحجار كريمة وماس ...»

قالت "كاترينا": «والسامبا ...»

«السامبا ليست من الثروات المعدنية.»

«*الثروات* المعدنية لا توجد إلا في صيغة جمع.» كانت "كاترينا" مرهقة للأعصاب حقًا لكنني ارتضيت بهذا. فالجدال معها صرف نظر أمي عن أحجار الماس البرازيلية الغريبة. لماذا لم أقل السعودية؟ على الأقل ربما كان سيخطر ببالي حينها البترول.

أصبحت فطائر البيض جاهزة. كانت متكومة في الطبق. التقطت الفطيرة الأولى بسرعة على الفور.

«أهلًا!» نكزتني "بيتي" في الحصة المدرسية. «لقد حلمت ليلة اليوم بكِ!»

«وهل خطر هذا ببالك الآن؟» تساءلت بشيءٍ من العصبية. فقد كان عليَّ دائمًا أن أنتبه إلى حدٍ ما في حصة الرياضيات لكي أفهم بالأساس أي شئ. أما "بيتي" فكانت تستطيع دائمًا أن تثرثر وتحصل على درجات جيدة على الرغم من ذلك.

«أجل، لقد رأيت حلمًا أننا سافرنا بالطائرة إلى البرازيل.»

«أنتِ تختلقين هذا الأمر!»

«لا، أحدثكِ بصدق. رأيت أننا في الغابة الموحشة، في "ماناوس" وقد سبحنا في نهر الأمازون.»

«رائع!» انتفضتُ. أصابني حلم "بيتي" بالخوف؛ إذ أنني كنت قد زعمت بالأمس أننا نعد تقريرًا عن البرازيل. لابد وأن البرازيل، التي فكرت فيها، انتقلت إلى رأسها بطريقة أو أخرى.

«يا أنتِ، يمكن للإنسان حقًا أن يسبح في نهر الأمازون!» همست بها "بيتي" وأضافت: «ليست هناك من مخاطر حقًا سوى قليل من أسماك البيرانا ذات الأربعين نوعًا.»

«حقًا؟»

صاح المدرس: «يا "يو"! ما الذي شرحته للتو؟»

«كنت ...» حدَّقتُ في السبورة بعينين مفتوحتين. قلت: «أه، لم أكن منتبهة.»

«لقد لاحظت ذلك. لكن ينبغي عليكِ أن تنتبهي. كرة القدم ليست كل شئ.»

التزمتُ الصمت. كان يقول هذا فقط لأنني تغيبت عن المدرسة مرتين بسبب مبارة كرة قدم. "بيتي" وأسماكها اللعينة من نوع بيرانا!

***

سألتني في فترة الراحة المدرسية: «هل قبلوا بكِ الآن في فريق الفتية حقًا؟»

«لا أدري. الفتية ماهرون تمامًا.»

«وأنتِ أيضًا بالطبع.»

رأيتُ من زاوية عيني "فابيينه" وصديقاتها تمضين في الفناء. كانت في الصف الدراسي الأعلى مني، أي في الصف التاسع. لقد أومأت لي برأسها على كل حال.

قلت لـ"بيتي": «بالنسبة لكوني فتاة ربما. لكن الفتية يلعبون بطريقة مختلفة تمامًا، تمامًا.»

«أها. اممم» لم تكن "بيتي" تعرف الكثير عن كرة القدم.

«هل بديتي على الأقل بصورة جيدة؟»

«اممم، لا أدري. لم ألتفت إلى ذلك. أحدهم شعره أحمر وأخر ذو قصة شعر قصيرة. اسمه "نيكلاس" و...»

«اممم، "نيكلاس"!»

«كفي عن هذا! إنه وضيع حقًا.»

«لكنه ظل عالقًا في ذاكرتك. ماذا عن لون الشعر؟»

«لا أدري. أشقر *يتسبب في الإزعاج*.»

«ماذا؟ أشقر *يتسبب* في ماذا؟»

« *يتسبب في الإزعاج*. هكذا يتحدثون في الفريق ذي الزي الرياضي الملون باللونين الأزرق والأبيض.»

قالت "بيتي": «جميل. ألاحظ ذلك.» وأضافت: «مدرسة حقيقية طوال الحياة . وما اسم ذو الشعر الأحمر؟»

«"رون".»

«غريب. مثل "رون ويزلي". لابد أنه لذيذ.»

«لا، إنه ليس كذلك.»

سألت: «وماذا غير ذلك؟»

«ما من شئ "غير ذلك". كان مجرد تمرين.»

«وهل تريدين حقًا أن تنتقلي إلى فريق الفتية؟»

«أبي يقول أن هذا أمر مهم. والرابطة تقول هذا أيضًا.»

«أي رابطة؟ رباط الجرح؟ رباط من الجبس؟»

«أوه يا "بيتي"! الرابطة ببساطة. إنها تحدد من يحق له الانضمام إلى فريق اللاعبين المختارين من الولاية. ومن ينضم إليه، يحق له الذهاب إلى "دويزبورج".»

«"دووووويزبورج"؟»

«هذا أمر مهم. الأمر الأهم على الإطلاق.»

«"دووووويزبورج" ها ها ... ربما أنني لا أعرف حتى كيف تُكتَب. بها كم حرف واو؟»

كانت كلمة "دويزبورج" كلمة صعبة حقًا. من يراها، كان ينطقها بصورة خاطئة، من يسمعها، يكتبها بصورة خاطئة. لا أحد أيضًا يعرف أين تقع بالضبط، في مكانٍ ما في ولاية "شمال الراين-فستفاليا".

لكن "دويزبورج" كانت مهمة. فهناك كانت فرق لاعبي الولايات المختارين من كل الروابط تواجه بعضها البعض، وهناك يتم اختيار لاعبي المنتخب القومي، وهناك يجلس كشافي الأندية الكبرى عند جانبي الملعب. وتتم متابعة اللاعبين من أجل الاتحاد الألماني لكرة القدم وهكذا ينضم اللاعبون إلى المنتخب الوطني.

أوضحت قائلةً: «يُقال في الرابطة وفي الاتحاد الألماني لكرة القدم أن اللعب في فريق الفتية أفضل من اللعب في فريق الفتيات.»

هزَّت "بيتي" رأسها. «لا أفهم. إن "ماتيلدا" تلعب الهوكي في فريق فتيات أيضًا، تمامًا مثل "ألينا" في رياضة كرة اليد.»

لفتُ نظرها بقولي: «ربما أن الأمر يشبه الوضع في هوكي الجليد.»

«ماذا؟ هوكي الجليد؟ من الذي يلعب هوكي الجليد؟»

***

عندما كان عمري خمسة أعوام، ألحقتني أمي أنا و"كاترينا" بالباليه. ما زلت أستطيع أن أذكر الحصة الأولى بدقة؛ فقد ذكرت مدرسة الباليه تقييمها لسيقاننا. كانت راضية عن ساقي "كاترينا" بينما قالت عن ساقاي: «أرجو أن تنمو بشكل طبيعي.»

لم أفهم قصدها، لكنها لم تنمو بشكل طبيعي، على كل حال لم يحدث هذا في العام التالي. كان من المستحيل بالنسبة لي أن أفرد ساقاي أثناء ممارسة الباليه وعندما كنت أثني ساقي، كنت أبدو مثل دمية. كنت أُفضِّل، بدلًا من ذلك، أن أركل كتل الغبار الصغيرة المتجمعة خلف البيانو في صالة الباليه. اقترحت مدرسة الباليه على أمي أن تجد شيئًا أخر لي. ومنذ ذلك الوقت، انضممت إلى نادي ألعاب القوى الخفيفة. تدربت هناك على أن أتلاعب بالقدم وبكرات صغيرة بدلًا من أن أقذفها وعندما أردت أن أركل كرة وزنها أربعة كيلوجرامات في مضمار الجري، انكسر إصبع قدمي.

آنذاك، كنت ألعب كرة القدم مع الفتية في فناء قضاء فترات الراحة المدرسية – في حالة أن كان هذا مسموحًا لي. كان "إريك" مدير مباريات كرة القدم في فناء المدرسة هو مَن يقرر ذلك. أحيانًا كان يُغلِّب الرحمة، لكنه كان يزأر في وجهي بعد ذلك على الفور عندما أخطئ في إصابة الهدف. كما كان عليَّ أن أحضر الكرة من بين نباتات القراص وكانوا يجعلونني أقف بالخلف، هناك، في مكان لا أزعج فيه الأخرين، لا سيما "إريك"، عند تسديد الأهداف. هناك بالخلف وبالداخل، كنت مضطرة أن أركض وألعب بجد واجتهاد، وأسمح بأن تتعرض قصبة ساقي للركل؛ إذ كنت ألعب في مركز قلب الدفاع ومركز ظهير مدافع في الوقت ذاته. ركضتُ ولعبتُ بجد واجتهاد وصرت

المدافعة الأشرس في فناء المدرسة. ارتقى أدائي في نهاية هذا التدريب وأصبح حتى من حقي أن أحرز أهدافًا.

ربما يظن البعض أن مَن ينجح في التدريب على ممارسة كرة القدم في فناء المدرسة، ليس بحاجة لأن يخاف من فريق ليس به سوى فتية. لكن العكس كان هو الصحيح. إن النادي الرياضي أصعب بكثير من فناء المدرسة.